

من تلاميذ المدرسة ذكورا واناثا ان يعود اليها مملها ولكن : ما كل ما يمتنى  
المره يدركه ، وان ارادة الله فوق كل ارادة وقدرة تعالى نافذة وليس لنا الا  
الرضاء والتسليم لحكمه وقضائه .

وقد قال كثير من الناس بمدوفاة المرحوم : ان المدرسة تموت قريبا فانه  
ليس فيها مملون أكفاء ، والسبب الاول في موتها عدم الاموال التي تحيا  
بها والمسلمون بخلاف ضعفاء في الاحوال المالية .

هنا وانني ذكرت ما ذكرت من الاطراء والثناء على شقيقي رحمه الله وهو  
حق ان شاء الله تعالى ، ولا فائدة لي وله في ذلك ما لم يستحقه . وشهد له بذلك  
جميع من عرفه من أهل العلم والفضل الذين يقدرون الفضيلة حق قدرها كما  
تشهد له به آثاره التي لا موضع لذكرها هنا .

صبيح ربيع الثرية نحريرا في ٩ شوال سنة ١٣٣٩ الموافق ١٦ جوني ١٩٢١  
كتب

محمد بسيوني صمران

## تقریظ المطبوعات<sup>(١)</sup>

( كتاب تنوير البصائر ، بسيرة الشيخ طاهر )

صفحات هذا الكتاب ١٥٩ بقطع رسالة التوحيد ومواضيعه ٥٣ وقد  
طبع بدمشق الشام بمطبعة الحكومة العربية السورية ( السابقة ) سنة ١٣٣٩  
على ورق جيد . ويطلب من مؤلفه الشيخ محمد سعيد الباني بدمشق الشام  
( نفي من مواضيع الكتاب )

المقدمة من المؤلفين والكتاب من يفترض لما يريد اذاهته فرصة سانحة  
فيبدي فيها بعض ما يريد نشره ومؤلف هذا الكتاب الشيخ محمد سعيد منهم  
لانك اذا قرأت الكتاب وأردت أن تأخذ منه سيرة الفقيه مجردة — كما يحب  
المؤلف — لا تكاد تثبت منه الربع وأما الثلاثة الارباع الباقية فهي مواضيع  
(١) كتب تقریظ هذا الكتاب وترجمة الشيخ طاهر شقيقنا السيد صالح مخلص رضا

وآراء في الإصلاح والتراجم والتقد ، فهذه المقدمة وهي من ص ٥ - ١٤ ليس فيها شيء من سيرة المترجم له بل هي مقالة في الدين وزومه والبدع والابتدعة الخ أعماله وأثاره . ذكر في هذا الموضوع ما كان من أعمال الفقيه من الاجتهاد في اصلاح الكتابيب والمدارس الرشدية وبعض مؤلفاته وما عدا ذلك فهو في اتقاد العلم وكتبه الخ

استنارته دفائن اللغة العربية . هذا الموضوع في أربع صفحات لم يكن فيها شيء عن الفقيه يزيد على نصف صفحة على انه لم يذكر فيه شيئاً من تلك الدفائن ولا ما استناره منها وبسته من مرقدته ، فهل كان كتاب التخصص من جملة ما أحياه ؟ عنايته بأحياء التاريخ . هذه النبذة استغرقت من الكتاب ما يقرب من أربع صفحات لم يكن فيها شيء عن الفقيه سوى ما ملخصه « عني فقيداً بأحياء التاريخ وارشاد المسترشدين وغيرهم الى مزاوته ودرساته وانعام النظر به وبفلسفته والدلالة على كتبه المفيدة والسعي وراء نشرها وطبها » وما عدا ذلك فكلام في علم التاريخ وفوائده ولم يذكر ما أحياه من التاريخ ولا ما نشره منه

سميه وراء التوفيق بين الدين والعلم والمصراان . هذا الموضوع استغرق ما يزيد على ١٦ صفحة ليس فيها عن الفقيه سوى ما يقل عن صفحتين نسب فيه للفقيه ما لم يعرف عنه وما لم يدعه هو لنفسه ( انظر ص ٤٩ ) والا فليقل لنا المؤلف أن مناظرات الفقيه أو كتاباته في الاجتماع والمصراان ومحاجته المحافظين على القديم ؟ وارشاد الطالبين وتعليم الجاهلين

وكيف كان داعية اصلاح والمؤلف نفسه يقول ما ملخصه « ولما رأى جذب الزمان من حكماء الاخلاق وسامة الارشاد ، وان معالم الاخلاق طمست ودراستها قد درست ، وان وظيفته وهي الدعاية الى اصلاح العام (؟) لم تمكنه من التفرغ لارشاد السالكين وعنة الغافلين وتربية الاحداث الخ » انظر ص ٢٩ دعوته الى الاخلاق والتربية . هذا الموضوع أخذ ١١ صفحة كان في الفقيه

منها ٣ صفحات نسب فيها للمؤلف ما ليس فيه وذكر صحبته ووجه المستشرقين وحبهم اياه والمزاورة بينه وبينهم وسرد أسماءهم

فأنت ترى ان الكتاب عبارة عن مجموعة مقالات جميل في كل واحدة منها كلمات في المترجم له رحمه الله تعالى وهذه براعة من المؤلف أشكره على التفطن لها

ولكنني أخذ عليه - عملاً بقوله قبيل الخاتمة ص ١٤٢ « ومن وجد غلطا في بعض ما عزوته لفقيد ..... فليتمفضل علي بتصحيح غلطي » الخ وبصد الإطلاع على « المدخل » و « المقدمة » - ما يأتي فأقول : -

أولاً - ان الكتاب بمجموعه لا يصدق عليه اسمه ويصعب جدا أخذ تاريخ حياة الشيخ طاهر منه ، وأن أخذ ما أورده المؤلف من هذه الترجمة لتفتتها بين أطوائه وفي ثيابه على انها لا تكون صورة صحيحة للفقيد

ثانياً - نسب المؤلف للشيخ تلاميذ ومرتدين ولم يدلنا على أحد منهم والظاهر لنا انه رحمه الله لم يكن ذا قدرة على التعليم فاننا نعلم انه أقام شهوراً عدة زبلا عند بعض السوريين في السويد وأراد أن يعلم أحد أولادهم النحو وقد رأينا وعاشرنا هذا التلميذ وهو لا يعرف الفاعل من المفعول . فأين هم تلاميذ الشيخ طاهر رحمه الله وأين أمكنة دراسته وتدريبه ؟

ثالثاً - لم يذكر المؤلف ما كان له من الآثار في الآثار (الماديات) غير انه « تعلم كثيرا من الخطوط الكوفي والمشجر والبراني وغيرهم ( ١ ) ليتسنى له دراسة الآثار الدارسة ونبشها من عالم الدثور الى عالم الظهور»

رابعاً - لم يذكر ما كان من عمل الفقيد في التوفيق بين العلم والدين الخ غير انه كان من علماء كذا وكذا وما لم يدع الشيخ طاهر لنفسه شيئا منه في حياته وانه تبادل الآراء مع المستشرقين وانه كان بينه وبينهم صداقة الخ انظر ص ٤٩ و ٥٠ وكذلك قل عن بقية المباحث . ولو أردنا تتبع الكتاب من أوله الى آخره مازدنا القراء فائدة ولا المؤلف بصيرة وفيما أوردناه كناية

واليك ترجمة الشيخ طاهر رحمه الله مختصرة مفيدة صحيحة كما وصفها أحد أفضل علماء الشام ممن له معرفة تامة بالفقيد بمدان قرأتها عليه إذ قال لي : انها صورة حقيقية مختصرة للشيخ طاهر فأقول : -

### الشيخ طاهر الجزائري الدمشقي

#### حياته ومونه ونشأته العلمية

هو الشيخ طاهر بن الشيخ محمد صالح أحد مهاجرة الجزائريين ومنفي المالكية بدمشق الشام ، ولد في دمشق سنة ١٢٦٨ ونشأ في حجر والده وتلقى مبادئ العلم عنه في بيته ، ثم اتصل بالشيخ عبد الغني الميداني فحضر عليه علوم العربية

والفقه الخ وهو استاذ الوحيد . وكان له شغف بالمطالعة والمراجعة حتى صار له مشاركة حسنة في جميع العلوم العربية وعني بقراءة الخطوط العربية وخاصة الكوفي منا وتلقى شيئاً من اصطلاحات الهندسة والفلسفة من بعض ضباط الهند الهنائي حتى لم يمدغريباً عن الهندسة النظرية ، وكان ذا حافظه جيدة وذاكرة حسنة لا ينسب عن ذهنه ما قرأه في بعض الكتب من نكتة غريبة أو فائدة ومع هذا لم يكن يعتمد على ذاكرته بل كان يضع في كل موضع فيه مسألة يجب الرجوع اليها من الكتب علامة من قطع الورق حتى انه اذا قرأ كتاباً ترى خلف الورق بارزة منه ، وكثيراً ما كان يكتب رقم الصفحة واسم الكتاب على قطع من ورق تكون في جيبه الذي هو سفيطه (محفظته) وجرايه وكان حريصاً على تلك النكت حتى انه كان يستلرد لوضعها في مؤلفاته ولو في غير موضعها وتوفي في دمشق يوم ١٤ من ربيع الآخر سنة ١٣٣٨ ودفن فيها رحمه الله تعالى  
 حياته وزيه وعيشته وأخلاقه

كان رحمه الله قمي اللون واسع العينين غائرهما نحيف الجسم أبيض الوجهية رت البزة غير ممتن بنظافة ثيابه وكان لباسه ماتسيه أعراب الشام شبر ويسمى في مصر ققطانا وفي الشام قنباراً أو غنباراً فوقه جبة أو جبتان ويتمم بهامة من الالجاباني وكان كثيراً ما يلبس الثوب صرة واحدة فلا يخلمه حتى يبلى ولا يدع الشمسية (المظلة) شيئاً ولا شتاء ويضم على عينيه مناظر لتقريب البعيد فإذا اراد القراءة في كتاب رفعها ، وكانت له جيوب في جيبه كالمخرج

وكان حديد المزاج ضيق العطن ضيف المنة تغلب عليه الوحشة ولعله كان يحس من نفسه بذلك اذ كان يحاول أن يستر الاستياء بمزاج ممرجلاته ومباشطة . وكان كثير الحديث عن علماء دمشق وأعيانها والاسباب فيما كان عليه مما حروه فيها من الحب والختل والدهان وما كان يدسه هو من الدسائس ليخلص أو يخلص شخصاً أو ليروج مشروماً خيراً من شره ، ولولا انه كان يجاهر بذلك في أكثر مجالسه ويفخر به ويمبرعنه بالدسائس الطاهرية لما استعصنا ذكره وقد علمنا علم اليقين ان من دسائسه ما كان للإيقاع لا للانقاذ

وكانت عيشته عيشة الزهاد مم الحرم على الوقت وكانت يقضي طامة ليله في المطالعة على ضوء مصباح من البترول ثم رأى ان ينتقم بنوره وحرارته مما فكان يأتي بقدر صغيرة فيضع فيها شيئاً يبد طبعه بحكم وضعها فوق المصباح

معلقة ويتدر لنضجه ساعات يتماهده عند انتهائها ، وكان أحيانا يطبخ القهوة في القدر ويشرب منها عدة أيام وربما نفن وجبها من طول المكث وكان لا ينام في الليل بل يأتي بينه بعد المشاء ويطالم في الكتب أو يكتب عامة ليله وينام بعد صلاة الصبح الى المصير وكان ولو ط بالبنان والشاي والقهوة جميعا فرط في كل منها ولم يكن حريصا على المال كان خلقه التعمف والكرم مع الحاجة لا يعيل الى الطعم ولا الهناه فوقفه الصنتت به الحاجة في آخر أيامه في مصر فباع بمطعم كتبه من احمد باشا تيمور وكاننا نقتنه من ثمنها ، وكان يتصدق في كل يوم بملايم ( أمتار القرش ) يمدها لذلك ، وقلما يصدر عن مجلسه وارد بفائدة علمية لأنه لم يكن يذكر بين الناس شيئا من وسائل العلم لا مفيدا ولا مناظرا ولا مذكرا ولا سائلا ولا عجيبا واذا سأله مستفيد عن شيء أحاله على المراجعة وربما دلة على المظان ان كان يرى انه يستحق ذلك ، وكان يرمي الى مقاصده من طرف خفي بدهاء

وربما أوعز الى بعض جلسائه ليوسط بالامر يريده وكان اذا استرسل بالمباشطة الرط فيكثر من الحركات وينفرب بالضحك حتى يخرج عن وقار الشيوخ وكان متعلبا في رأيه لا يرجع عنه ولو الى الصواب ، حكى لي شيخ عالم بأفضل أطلال عشرة الشيخ طاهر انهم اختلفوا في كلمة لفوية فكان الشيخ طاهر هل رأي تبين بعد المراجعة انه كان مخطئا فيه ولم يرجع الى الصواب

#### مؤلفاته

ارشاد الالباء ، مدخل الطلاب الى فن الحساب ، قصص الانبياء ، الفوائد الجسام في معرفة خواص الاجسام ، مد الراحة الى علم المساجة ، الجواهر الكلامية في العقيدة الاسلامية ، الجوهرة الوسطى ، رسالة في المروض ، وقد أراد ان يجعل هذه الكتب مدرسية وكلها طبعت في سورية ومنها ما أعيد طبعه مرات وله مؤلفات أخرى وهي كتاب التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن على طريقة الاتقان ، طبعة بمطبعة المنار ووقعت على طبعه وضيت بتصحيفه بأذنه ، وكتاب توجيحه النظر في الاسول طبعة له بالحاجي بمصر وصكتاب التمرير الى اصول التمرير ، طبع بمطبعة النهضة بمصر وشرح خطب ابن نباته وامنية الالهي ، وكتاب في التعليم الابتدائي وتخير القرآن الحكيم ، ولعل هذه الاربعة الاخيرة لم تطبع اذ لم زها وكان هو

المحرر والمجلة السلفية التي صدرت في آخر أيام حياته بمصر وكانت يودعها تبداً من مقتطفاتاته العملية ومن كتاباته (مفكراته) وكانت تلك المجلة تنوه بكتابته وقد وعدت بطبعها فيما أتذكر، وله كتاب «تقوم المجلة السلفية» وإن لم يصدر بالمعنى

### علمه وعمله

لم يشتهر التعمير والمعرفة بعلم من العلوم ولا تصدى لتدريس شيء منها فلم يعلم له تلميذ عالم أخذ عنه العلم غاية ما عرف به أنه كان ذا اطلاع على أسماء كثير من الكتب حتى قال بعضهم أنه نسخة من كتاب كشف الظنون أو التمهيد وانحوا لم يحصى ما أحصى كتاب من هذين ولكنه كان يعرف مواضع كثير من الكتب وقيل كثير مما يجب نشره ويجب طباعته ولكنه كان يبخل على الوراقين بأرغادهم اليمة إذ يرى أنهم لا يستحقون ما يتألون من الربح بطبعها. وكانت له ميزة فنية في صرفها لهذا السكون في أرشده إليها مقابلة أي التمرآن المكتوبة على بعض المساجد والأضرحة في دمشق ومصر وكتاب مرفوع الخطوط للإمام اليسوعي وله العلم بالحروف والمباني وما نشر من مؤلفاته إذا دل على صحة اطلاع فانه لا يبدل تحرير ولا يبدع ولا على على ثقته في العلم أو تمكن منه

وأما عمله فانه كان قد تولى التعليم في المدرسة الظاهرية ثم عين مفتشاً للمدارس الابتدائية المنيانية في سورية فكان فيها مثالا للنشاط والكد والنصيحة ومن عمله انه سعى لدى مدحت باشا الوزير المنياني الإداري الشهير عند ما كان والياً على سورية بإصدار امره بجمع الكتب العملية الخطوطة البعثرة في المدارس العلمية والمساجد بدمشق فكانت مكتبة مفيدة وجمع من البيوت ما أمكن حمله وجعل في قبة ضريح الملك الظاهر وجعل لها قوام وخدمة ونظام مختصراً، وفي أيام عهد الرؤف باشا والي سورية استحصل على طائفة من الكتب كانت في دور أناس من أعيان دمشق أو جبالها لدى المنكبة الظاهرية. ثم جعل مفتشاً على دور الكتب في سورية وفلسطين فقام بذلك أحسن قيام

ومن مساعيه تأسيس المكتبة الخالدية في القدس الشريف، وقد عين في آخر أيامه عضواً في الجمع العلمي الذي يرأسه محمد كرد علي في دمشق وتأسست المكتبة الظاهرية. وكانت الحكومة عازت على درس قبح الامام البتوية لوفوره في حديقة خارج مدينة دمشق فأهاج الرأي العام ضد ذلك وبقي قبر الامام محفوظاً بحبه وحنابة وأعلن ان هذه الحادثة وقعت في أيام مدحت باشا